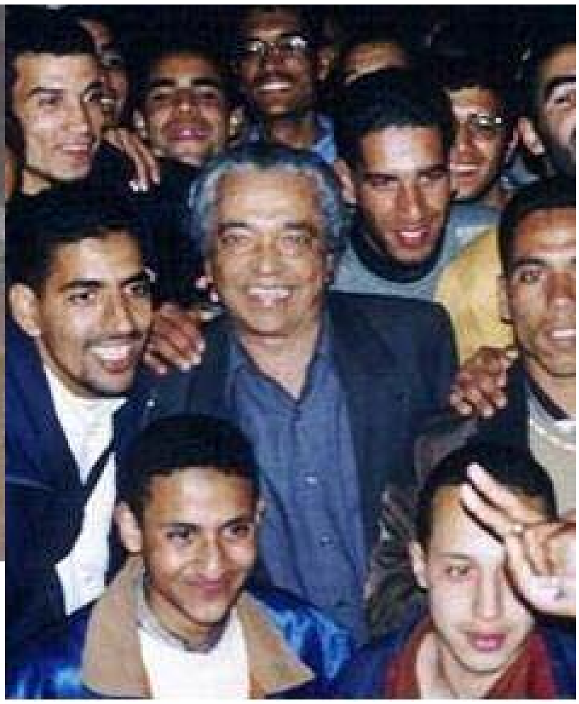




في رحاب فكر

د. المهدي المنجرة

إدريس ولد القابلة

المحتويات

في رحاب فكر الدكتور المهدي المنجرة

الدكتور المهدي المنجرة، عالم المستقبليات، ذو صيت عالمي حاضر في العديد من الدول عبر العالم – غربه وشرقه، شماله وجنوبه، له عدة مؤلفات بالعربية والفرنسية والإنجليزية وعضو في جملة من النوادي والهيئات العالمية، رفض دائما بيع المبادئ التي يعتبرها رأسماله الوحيد.

ويعتبر الدكتور المهدي المنجرة أن العالم يعيش حاليا هيمنة جديدة، وهي الميغا – إمبريالية الأمريكية وذلك اعتبارا للقوة الاقتصادية والعسكرية التي أصبحت تتوفر عليها الولايات المتحدة الأمريكية.
لعل ما حدث بالعراق أظهر بجلاء أكثر حقيقة أمر هذه الميغا – إمبريالية، علما أن العراق يتواجد بالمنطقة العربية التي خضع مسيروها وحكوماتها وأنظمتها بدون استثناء لها وبذلك ركعوا للاستعمار الأمريكي الجديد.

ولقد أضحى من المعروف أن مخطط الولايات المتحدة الأمريكية بالمنطقة العربية ليس جديدا، إذ منذ الحرب العالمية الأولى تم تشتيت وبلقنة الشرق الأوسط من طرف بريطانيا بمساعدة ومساندة الدول الغربية، وهكذا ظهرت كيانات جديدة (سوريا ولبنان، الأردن) واستمر المخطط بعد الحرب العالمية الثانية وظهرت كيانات جديدة وأصبحت المنطقة عبارة عن مجموعة من الدويلات وكان مقصد تشتيت المنطقة هو بالأساس التمكن من التحكم فيها بكل سهولة.

وهذا المخطط هو بذات نفسه المطبق حاليا في العراق، إلا أن الدكتور المهدي المنجرة يرى أنه على مستوى القصير قد يجد الاستعمار الجديد مرتزقة وخونة قد يعملون على تكريس مشروعه، إلا أن الشعب العراقي والشعوب العربية لا محالة أنها ستقول كلمتها في آخر المطاف، باعتبار أن الاستعمار الجديد لن يأتي إلا بالمزيد من الضعف والظلم والتعسف والعنف وبالمزيد من الإهانة والدوس على الكرامة، إلى حد يقول معه الدكتور المهدي المنجرة أن سكان المنطقة العربية عموما أضحوا يتعرضون إلى إهانة مركبة، إهانة الحكومات العربية وإهانات الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وكل هذا حسب الدكتور المهدي المنجرة يدخل ضمن حرب الحضارة والقيم التي صارت في عصرنا هذا أساس الحروب والنزاعات وهذا ما أكده منذ فجر ثمانينات القرن الماضي واستنادا على هذه الرؤية كان الدكتور المهدي المنجرة هو أقل من تنبأ بالحرب الحضارية في العالم، وهذا ما شهد به كل المحللين على الصعيد العالمي.

و الدكتور المهدي المنجرة أكد في أكثر من محاضرة ومن لقاء وفي عدة مؤلفات ومقالات منذ فجر ثمانينات القرن الماضي، أي منذ أكثر من عشرين سنة خلت ، أن القيم هي الأساس الذي تدافع عنه الشعوب.

يعتبر الدكتور المهدي المنجرة من المفكرين الأوائل الذين انتقدوا بشدة منظمة اليونسكو ، وكانت مناسبة العبث بآثار العراق محطة أخرى للمزيد من النقد لهذه المنظمة ، اعتبارا لكونها قضية تدخل ضمن التخطيط الأمريكي.

وقد وضع الدكتور المهدي المنجرة في أكثر من مناسبة أن اليونسكو لم تحرك ساكنا للتصدي لنهب الآثار العراقية وهي المنظمة العالمية التي لها دور عالمي في ميدان الثقافة والحضارة في حين أنها لم تقم بأي عمل يذكر للدفاع عن التراث الثقافي والإنساني العريق.

وكان من الطبيعي أن تسير اليونسكو في هذا التوجه باعتبار أن نظام الأمم المتحدة بما فيه جملة من المنظمات العالمية تعتبر أدوات في يد الهيمنة الاستعمارية الأمريكية، هذه الهيمنة التي تدعمها وتكرسها دول غربية كثيرة.

والكارثة التي عرفتها العراق في اغتصاب الآثار تعد جريمة شنعاء، إذ تحدثت عدة تقارير عن آلاف القطع الأثرية العراقية المنهوبة، وقد عمل الإعلام الأمريكي على كتم كل ما تعلق بهذه الجريمة.
وفي نفس الاتجاه كان الدكتور المهدي المنجرة من الأوائل الذين انتقدوا دور الجمعة العربية إذ كان موضوع أطروحته لنيل الدكتوراه في جامعة لندن سنة 1958 هو نشأة جامعة الدول العربية، وقد خلص في تحليله إلى كون أنها آلة من آليات الاستعمار، موضحا أنها لعبت دورا استعماريا، وقد انكشف أمرها حاليا بجلاء، عندما أضحت مجرد ملحق للبيت الأبيض والبنتاغون، بعد أن كانت محلقا للوزارة الخارجية البريطانية.

منذ أكثر من عشر سنوات قدم الدكتور المهدي المنجرة دراسة عن مغرب 2020 يوضح فيها مآل المغرب والمنحى العام لتطوره.

ولا زال الدكتور يظن أن الأزمة الكبيرة التي يعيشها المغرب هي الجهل والأمية، وبالتالي يعتبر أنه إذا لم نول الأهمية للموارد البشرية بظل محكوما على البلاد بالتأخر ومن جهة أخرى، يعتبر الدكتور أن النموذج التنموي مفروض على المغرب من الخارج – من طرف البنك العالمي – وبذلك فهو نموذج ليس مبني على الذات وبالتالي فإنه لن يأتي بنجاح مادام لم يؤسس على الاعتماد على النفس وعلى الذات.

وإذن هناك خطأ في النموذج التنموي باعتباره مملي من الخارج وليس نابع من رؤية واضحة المقاصد تعتمد على الذات ويساهم في بلورتها كل المغاربة.

وبخصوص قضية الوحدة الترابية وملف الصحراء، فإن الدكتور المهدي المنجرة ظل يناهض التفتيت والتشتيت وظل يدافع بكل ما أوتي من قوة على ضرورة الاندماج بين الدول المغاربية.

وفيما يخص أحداث 16 مايو 2003 بالدار البيضاء يرى الدكتور المهدي المنجرة أنه

يجب النظر في أسبابها للعمل على عدم إمكانية تكرارها، ولذلك وجب النظر في الفقر والفوارق التي تزداد يوما بعد يوم والجهل الذي ما زال منتشرا، فكل الأشياء والدواعي التي من شأنها خلق فوارق في المجتمع تعتبر من أسباب بروز العنف وفي هذا الصدد يعتبر الدكتور المهدي المنجرة أن للشباب دور حيوي وجوهري، ولذلك عليهم الاهتمام بالمعرفة والبحث العلمي والدفاع عن الكرامة الإنسانية ومحاربة الإهانة والحرص على التواصل الثقافي والحضاري وذلك للعمل من أجل المستقبل.

إن أفكار ونظريات الدكتور المهدي المنجرة جالت العالم اعتبارا لمداها البعيد وشموليتها، وهما ميزتان أكدتهما الأحداث الدولية ولازالت تؤكدهما. والدليل على هذا الطلبات الكثيرة والدعوات العديدة التي يتوصل بها الدكتور من كل أرجاء العالم شماله وجنوبه، غربه وشرقه، من أجل إلقاء المحاضرات أو المساهمة في اللقاءات أو الإدلاء باستشارات أو السهر على إدارة أبحاث ودراسات.

وتجواله هذا عبر العالم يذكرنا شيئا ما بابن بطوطة الذي، قرونا بعد رحيله عن هذا العالم، ما زلنا لحد الآن نتكلم عنه وعن إسهاماته، ولا محالة ستأتي قرون وسيظل الناس يتحدثون عن إسهامات الدكتور المهدي المنجرة في مختلف أرجاء العالم.

من هو ؟

الدكتور المهدي المنجرة من مواليد 1933 بالرباط، تلقى دراسته الجامعية بالولايات المتحدة بجامعة " كورنيل". وبعد حصوله على الإجازة في البيولوجية والعلوم السياسية، تابع دراسته العليا بإنجلترا وحصل هناك على الدكتوراه في الاقتصاد بجامعة لندن.

وكان من الأساتذة المغاربة الأوائل الذين قاموا بالتدريس بجامعة محمد الخامس بالرباط سنة 1958. وتقلد عدة مناصب سواء على الصعيد الوطني أو الدولي وساهم في إحداث الفيدرالية الدولية للدراسات المستقبلية وأسس المنظمة المغربية لحقوق الإنسان. هذا علاوة على عضويته في جملة من المؤسسات ذات الصيت العالمي من ضمنها أكاديمية المملكة المغربية والأكاديمية الإفريقية للعلوم والأكاديمية الدولية للفنون والآداب. له عدة كتابات في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، أكثر من 600 مقال وعدة مؤلفات، ولا زال قلمه سيالا ينتج باستمرار وعلى الدوام.

وحصل الدكتور المهدي المنجرة على عدة جوائز، من ضمنها جائزة الحياة الاقتصادية سنة 1981 والميدالية الكبرى للأكاديمية الفرنسية للمعمار سنة 1984 وقلادة الفنون والآداب بفرنسا سنة 1985 وقلادة الشمس الشارقة باليابان سنة 1986 وميدالية السلام من الأكاديمية العالمية لألبير اينشتاين وجائزة الفيدرالية الدولية للدراسات المستقبلية سنة 1991.

لقد جال الدكتور المهدي المنجرة العالم كله، غربه وشرقه، شماله وجنوبه. وأشرف على عدة أبحاث من ضمنها إشرافه بطوكيو سنة 1998 على فريق بحث عالمي يضم 15 عالما التعددية الثقافية وآثارها المستقبلية على الهجرة.
الدكتور المهدي المنجرة جال كثيرا بدهاليز المنظمات الدولية وخبر خباياها، كما بلغ بداخلها أسمى المناصب وندد بمواقعها في قضايا الحاضر والمستقبل، وهذا ما حتم عليه مشروعه العلمي والفكري الواسع على الانسحاب منها. لاسيما وأنها منظمات انحازت في واضحة النهار للدول الكبرى وتعاطفت معها تعاطفا صارخا على حساب بقية العالم بعد أن انصهرت في نموذج الفكر الواحد دون اعتبار حق الاختلاف وتمييز القيم، إلى درجة عدم الاعتراف للشعوب بحقها في التنمية. كيف لا والدكتور المهدي المنجرة أعلن الحرب الضروس منذ فجر شبابه على " الفكر الواحد" الذي لا يعترف بحقيقة واضحة للعيان: ضرورة وإلزامية وجود الاختلاف ؟ كيف لا والدكتور المهدي المنجرة كرس حياته وما زال للدفاع عن الحق في الاختلاف كقيمة حضارية لا مندوحة عنها كيف ما كانت الأحوال ؟ كيف لا والدكتور المهدي المنجرة كان ولا زال مجبولا على الصدق في المواقف والجرأة في التعبير والمواجهة الفكرية.

اللقاء مع محمد بن عبد الكريم الخطابي

في سنة 1954 سافر الدكتور المهدي المنجرة إلى لندن لتحضير الدكتوراه حول الجامعة العربية. وفي السنة الموالية 1955 حصل على منحة من مؤسسة روكفلر مكنته من السفر إلى مصر للالتقاء ببعض المسؤولين في الجامعة العربية، وهناك التقى بزعيم حرب الريف المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي وشقيقه امحمد.

اللقاء مع محمد الخامس

وعندما كان الدكتور المهدي المنجرة بلندن كان واحدا من الطلبة المغاربة الذين استقبلهم الراحل محمد الخامس بباريس في طريق عودته من المنفى إلى أرض الوطن، وكان هذا قبيل الاستقلال. وبعده، في سنة 1959 استقبل الملك محمد الخامس الدكتور المهدي كأول أستاذ مغربي في كلية الحقوق بالرباط وأصغر الأساتذة بها سنا وعينه مديرا للإذاعة والتلفزة المغربية خلفا لقاسم الزهيري.

في أمريكا

حادثة غريبة كانت وراء التحاقه بالديار الأمريكية في نهاية أربعينات القرن الماضي لمتبعة دراسته إنها واقعة حدثت للمهدي المنجرة الشاب سنة 1948، وكانت فاصلا في مسار حياته وشخصيته.

كان آنذاك بمدينة إفران، بينما كان في المسبح اقترب كلب الفرنسيين وأجابه آخر قائلا: إذا كان هناك عرب يسبحون، فلم يمنع ذلك على الكلاب. ولم يتمالك المهدي المهدي المنجرة نفسه فانقض على ذلك الرجل ولكمه. وكان رئيس الأمن الإقليمي لمدينة إفران واقتيد المهدي إلى مخفر الشرطة حيث قضى بعض الأيام رهن الاحتجاز. وهذا ما أقنع والده بضرورة إرساله إلى أمريكا لمتابعة دراسته.

وهناك بأمريكا أسس الدكتور المهدي المنجرة النادي العربي وعمل مديرا للمجلس الدولي للطلبة. كما كان أحد مؤسسي جمعية المسلمين والنادي الشرقي وعضوا في جمعية " من أجل عالم جديد ".

وهو بأمريكا نشبت الحرب مع كوريا سنة 1954، طلب منه، باعتباره يتوفر على البطاقة الخضراء، التجنيد إلا أنه رفض.

الهجرة إلى اليابان

كانت النقطة التي أفاضت الكأس وهيئت جميع الشروط والظروف لهجرة الدكتور المهدي المنجرة إلى اليابان، منعه بإلقاء محاضرة بجامعة فاس. ومهما يكن من أمر فإن الدكتور هجر قسرا باعتبار ما بينه وبين بلاده من حب وتعلق، وما بينه وبين الجامعة المغربية عموما من علاقة حميمة. ألم يكن الدكتور المهدي من أوائل المغاربة ومن أصغر الأساتذة سنا من التحقوا بها سواء للتدريس أو التأطير أو البحث؟ ألم يفن عمره دفاعا عن كرامة وحرمة الجامعة واستقلاليتها؟

وتظل للدكتور المهدي المنجرة مكانته وهيبته الفكرية والعلمية. كيف لا وهو الذي تعددت مصادر الإلهام لديه. إنه في الحقيقة، كما يقول الأستاذ يحيى اليحياوي، لم يعد شخصا ذاتيا عاديا، بقدر ما هو مؤسسة علمية لها أتباع عبر العالم، لها صداها العالمي الواسع ولها جائزتها، جائزة التواصل الحضاري شمال - جنوب.

ويرى " بونصولي " في الدكتور المهدي المنجرة المثقف العالمي، الجامعي والمؤلف الواسع الآفاق.

لقد كرس الدكتور المهدي المنجرة حياته للدفاع عن الحق في الاختلاف كقيمة، لاسيما وهو الرجل الذي اندغمت بداخله صلابة وقوة المبدأ وانصهرت في صلبه الجرأة في التعبير والصدق والنزاهة في الموقف مهما كان الأمر ومهما كانت العواقب.

ويظل الدكتور المهدي أحد المراجع العربية والدولية في مختلف قضايا السياسة والعلاقات الدولية والدراسات المستقبلية.

المستقبليات

يقول الدكتور المهدي المنجرة أن المستقبليات ليست تنبؤ، لأنه لا وجود للتنبؤ عند البشر. والتنبؤ كان لخاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وإنما يقوم الإنسان بمعاينة وتتبع ودراسة تيارات الذات وتوجهات الأحداث ويحاول النظر في مداها البعيد وإلى حيث هي سائرة. وذلك مثل رؤية المرء لموجة البحر في بدايتها ويظل يتبعها على بعد 300 أو 500 متر أو 1000 متر، وينظر إلى ماذا ستحمل معها. إلا أن السياسي يهتم دوما بالآني. ففي الصباح يفكر في هل سيظل وزيرا أو مسؤولا أو في مكانه حينما يحل به في المساء.

للوقوف على معنى الرؤية المستقبلية يمكن الاستعانة بما كان يسميه الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستبصار. والاستبصار في اللغة العربية هي الطريقة التي نرى بها الأمور. وكان النبي صلى الله عله وسلم يستبصر كل صباح وهذا نوع من الديناميكية. وفي هذا الصدد يقول الدكتور المهدي المنجرة أن المستقبلي غير الجيد لا يفكر إلا في المدة التي سيعيشها لأنه لا يهمه ماذا سيقع بعده، أما المستقبلي الجيد هو الذي يفكر على مدى هو على يقين تام أنه سوف لن يراه ويعاينه ولن يكون فيه على قيد الحياة، وبذلك فإن مصالحه الخاصة لم تعد مرتبطة بآرائه، بل تكون حرة ومتحررة من أية مصلحة كيفما كانت.

إشكالية الدكتور المهدي المنجرة

إن الدكتور المهدي المنجرة يهتم بأزمة مصيرية وهي إلى أين نسير ؟ إنها أزمة تؤلمه ، لاسيما وهو يعاين غياب رؤية مستقبلية لدى القائمين على الأمور بالمغرب . وقد سبق للدكتور أن قال أكثر من مرة:" أتحدى أي شخص يعطيني رؤية شاملة حول مستقبل المغرب، للأسف الكل مشغول بالآنية وما يسمى بالانتقال، وأنا أتساءل الانتقال إلى أين ؟" حقا، لقد صدق الدكتور المهدي، لأنه لكي ننتقل يجب أن نعرف من أين أتينا وإلى أين نحن سائرون.

ويزيد الطين بلة بملاحظة صمت المؤرخين التابعين للمخزن وانكبابهم فقط على تاريخ القرون الوسطى، متناسين الحاضر وغافلين كليا عن المستقبل. أما اقتصاديو المغرب فهم يبجلون الوثيقة الأمريكية حول مغرب 2005 ومخطط البنك الدولي حول مغرب 2010.

وبذلك يخلص المهدي المنجرة إلى كون أن تاريخ المغرب مرتبط بالاستعمار وماضيه ليس بأيدي أبنائه، والتأريخ له هو مخزني بامتياز، أما حاضر المغرب فهو بيد غير المغاربة ولا يتحكمون فيه، أما مستقبل المغرب فهو محدد من طرف الغير وفي إرشادات وتوصيات تبلور خارج المغرب ومن طرف غير المغاربة.

في العولمة

يعتبر الدكتور المهدي المنجرة من مناهضي العولمة الكبار، ليس لأنها تجسد وتكرس أشكالا جديدة من الاستعمار ومنطق الفكر الواحد والوحيد. ولكن أيضا لأنها سبيل من سبل إقصاء وتهميش الدول والشعوب والثقافات الأخرى ما دامت هي قائمة بالأساس على اغتيال الحق في الاختلاف والحق في التميز، وبذلك تقتل الحوار والتواصل كقيمة جوهرية.

العولمة بالنسبة للدكتور المهدي المنجرة هي الأمركة، وهي مرتبطة بالأخلاق قبل ارتباطها بالاقتصاد.

فالحضارات اليهودية ـ المسيحية ترمي من وراء العولمة فرض قيمها ونمط حياتها على الحضارات غير اليهودية ـ المسيحية.و بذلك تكون هذه العولمة من سلالة الاستعمار ومن جنس الإرهاب.

إنها تسعى إلى شل أدنى حركة تفكير لدى الشعوب وبالتالي جعلهم يفكرون بمنطق الغرب ويتبعون نمطه في الحياة.

لكن ما هو البديل لمواجهة العولمة بالنسبة للعرب والمسلمين ؟ بالنسبة للدكتور المهدي المنجرة تكمن هذه المواجهة عبر الاستفادة من التجربة اليابانية التي انطلقت من أربع محاور:

1 ـ الارتباط والانطلاق من القيم اليابانية.
2 ـ محو الأمية.
3 ـ النهوض باللغة اليابانية.
4 ـ دعم البحث العلمي.

علما أن مسألة المجابهة في نظر الدكتور المهدي المنجرة تبقى مسألة إرادة بالدرجة الأولى، إرادة الوجود والفعل والمجابهة أو إرادة الوضوح والانصياع والعيش عالة على مستجدات العولمة.

في الفقر

حسب الدكتور المهدي المنجرة، إن الشيء الوحيد الذي له مستقبل في هذا العالم هو الفقر. فهناك أكثر من 3 مليار نسمة لا يصل دخلهم اليومي إلى دولارين اثنين.

ومنذ 30 عاما خلت كان الفرق بين الشمال والجنوب من 1 إلى 10 فيما يخص الدخل، أما اليوم فهو من 1 إلى 20.

وفي المغرب فإن الفرق بين 10 % من أصحاب أكبر دخل و 50 أو 60 % من ذوي أضعف دخل كان من 1 إلى 15 أما الآن فه من 1 إلى 80. ومعنى هذا أن توزيع الثروات يتم بكيفية تؤدي إلى المزيد من التفقير، أي بزيادة الأغنياء غنى وزيادة الفقراء فقرا.

في الخوف والخوفقراطية

يعتبر الدكتور المهدي المنجرة أن هناك نوع رهيب من الخوف يسود العالم، وهذا ما نعته بالخوفقراطية التي ما زالت قائمة ما دام الإنسان لم يتفوق بعد على هذا الخوف.
والخوفقراطية هاته بادية بجلاء حتى التعامل مع الانتفاضة الفلسطينية لاسيما فيما يخص العرب. ويظل تغيير الحال في العالم رهين بتفوق الإنسان على الخوفقراطية.

في الغرب والإسلام

منذ عقد الثمانينات ظل الغرب يعيش في خوف من ثلاثة أمور:
- الديمغرافية.
- الإسلام.
- اليابان.

وقضية خوفه من الإسلام هي واضحة الآن للعيان أكثر من أي وقت مضى. إلا أن القضية الحقيقية ليست قضية دينية وإنما هي قضية حضارية.

فمن الناحية الدينية الإسلام دين محفوظ وسيظل كذلك أراد من أراد وكره من كره.

إن الدكتور المهدي المنجرة لا ينظر إلى هذه القضية من الجانب الديني، لأنه ليس فقيها ولا مرسولا، وإنما ينظر إليها كقضية حضارة وقيم، كقضية يتشابك فيها الناس بعضهم البعض منذ قرون، وكقضية تراث ثقافي وروحاني.

ففي غشت 1990 صرح بوش الأب قائلا أنه " لا يمكن أن نسمح لأي أحد أن يمس بقيمنا »، ويومين بعد هذا التصريح قال الدكتور المهدي المنجرة في حديث له مع إذاعة فرانس أنتير، أنه ستقع الحرب وكان أول من قال بوقوع حرب وشيكة لأنه عندما تمس القيم لا ملجأ إلا للحرب ولأن القوي في هذا العالم هو الذي يتوفر على القوة لفرض قيمه على الآخر.
ولقد أكد الإعلام الغربي على أن الدكتور المهدي المنجرة هو أول من استبصر بقيام أول حرب حضارية وذلك قبل المحللين الغربيين بعامين اثنين.

لقد أكد الدكتور المهدي المنجرة على الانعطاف الذي طبع تعامل الغرب مع العالم الإسلامي بدءا من عام 1976 عندما اتضح أن عدد المسلمين، ولأول مرة في التاريخ، فاق عدد المسيحيين في العالم (965 مليون مسلم مقابل 950 مليون مسيحي كاثوليكي). وهذا ما دفع صانعي القرار في الغرب إلى رسم المخططات ووضع السياسات الرامية إلى الحد من انتشار الإسلام ومن تصاعد عدد المسلمين عبر العالم.

إلا أن الميزة الأساسية بالنسبة للعالم العربي في نظر الدكتور المهدي المنجرة هي كون أنه ليس هناك أنظمة ولا حكومات تمتلك حق تمثيل شعوبها والفجوة بين الحكام والشعوب ظلت ولازالت تتسع في العالم الإسلامي والعربي.

وفي هذا المضمار يعتبر الدكتور المهدي المنجرة أن الوهابية ليست حركة سلفية حقيقية، بل إنها رجعية قوية.

حول أمريكا

يقول الدكتور أن أمريكا بدأت في الانهيار أو الانحدار، ولم يقل ذلك اعتباطا وإنما استنادا على دراسة مستقبلية على امتداد 40 أو 50 سنة وارتكازا على أكثر من حجة. ففي سنة 1999 قال الرئيس كلينتون:" نحن عارفون على أنه 10 أو 15 سنة المقبلة سوف لن تظل القوة الأولى في العالم، بل ستكون الصين وبعدها ستكون الهند وبعدها سيأتون آخرون، ولا يدوم إلا الله".

ويؤكد الدكتور المهدي أن الخوف سيطر على العالم (الخوفقراطية) ولذلك نلاحظ أن 80 % من البحث العلمي بأمريكا يخص المجال العسكري.

ويوضح الدكتور المهدي أن ما هو واقع الآن في العالم، ليس هو تأخر أمريكا وتقهقرها وإنما صعود الصين وآسيا تدريجيا وبصمت ودون هرج ومرج.

حول اليابان

إن دراسات الدكتور المهدي المنجرة بخصوص اليابان تناولت إشكالية التمييز بين العصرنة والاغتراب للتأكيد على أن الحداثة التي اعتمدها اليابان هي حداثة ذاتية ومتوجهة إلى الدخل وليست نحو الخارج وشكل إبداع الشعب الياباني الحجر الأساسي لهذه الحداثة بعيدا كل البعد عن التقليد الأعمى.

في القضية الفلسطينية

إن القضية الفلسطينية تظل مركز كل القضايا العربية. ومستقبل كل البلدان العربية لازال مرهونا بحلها، ما دام لهذا الحل انعكاسات قوية وكبيرة.

لقد بين الدكتور المهدي المنجرة في كتابه " الحرب الحضارية " الارتباط الوثيق بين مأساة فلسطين والعراق، إذ أكد على أن هناك حرب حضارية موجهة ضد المسلمين، وهي امتداد للحروب الصليبية التي طورت أسلحتها.

وبالنسبة للدكتور المهدي، فيما يخص القضية الفلسطينية، فإن المشكلة ليست شارون وأذنابه، بل المشكلة هي عرفات والسلطة الوطنية وهما أسباب المصائب.
كما أنه سبق للدكتور المهدي أن أكد منذ أكثر من عقد من الزمن أن حجارة الانتفاضة لم تكن موجهة ضد اسرائيل بل ضد منظمة تصهين فلسطين.

وفي هذا الصدد أكد الدكتور المهدي أكثر من مرة أن الرئيس مبارك آلة الإمبريالية وشرطي أمريكا في الشرق الأوسط، ومعه حكام عرب آخرين، كلهم تواطؤوا ضد شعب فلسطين وأرضه.

وهناك طامة الجامعة العربية - الجامعة المهزلة في نظر الدكتور المهدي - لأنها ليست سوى آلة للسياسة الخارجية البريطانية وأصبحت فرع من فروع البنتاغون الأمريكي والبيت الأبيض.

بالنسبة للدكتور المهدي، إن الذين يحاربون فعلا فلسطين هم الدول العربية وحكامها والجامعة العربية وما يسمى بالمؤتمر الإسلامي.

ويعتبر الدكتور المهدي المنجرة، كإنسان من العالم الثالث وكأمازيغي وكمغربي وكإفريقي وكعربي أنه لا يمكن أن يعتبر نفسه متحررا إلا إذا تحررت فلسطين.

في التواصل والبحث العلمي والأخلاق والتغيير والتكنولوجيا

إن الدكتور المهدي المنجرة لا ينادي فقط بضرورة تفتح الثقافات على بعضها البعض، بل يرهن هذا التفتح بمدى قابلية هذه الثقافات على التواصل بعيدا عن الاستكبار وعن التجبر.

وفيما يتعلق بالبحث العلمي، لقد انتفض دائما الدكتور المهدي المنجرة في وجه عجز دول العالم الثالث في استغلال أدمغة أبنائها عبر تهميشها لقيم البحث العلمي والتطور التكنولوجي في زمان موصوف بتصاعد وثيرة مجتمع العلم والمعرفة.

في الأخلاق

وبالنسبة للأخلاق، في نظر الدكتور المهدي، قبل النظر إلى انعدام الأخلاق في الشارع لابد من النظر إلى ما يقع في الوزارات والدواوين والمؤسسات والهيئات من فساد أخلاقي. فهناك سلسلة مترابطة، وهذا راجع - في نظره - إلى غياب التربية والتنشئة. فالعملية تتم من أعلى إلى أسفل والقدوة والنموذج يكون دائما من الأعلى.

كيف تستقيم الأمور ونحن نحاسب الصغير ونغض الطرف عن الموظف السامي ونكافئه عوض محاسبته. وبخصوص التكنولوجيا يقول الدكتور المهدي المنجرة أنه لا يصح التعامل مع التكنولوجيا الحديثة كمواد استهلاك وإنما كأداة لابد من استيعابها وتطويرها بهدف التقليل من الهوة الفاصلة بين الشمال والجنوب، وتقليل الفوارق الاجتماعية بالمغرب تكريسا لدمقرطة المعرفة ديمقراطية حقيقية.

في مسائل مغربية

لقد أكد الدكتور المهدي المنجرة في أكثر من مناسبة أنه يتحدى أيا كان يقول بأن المغرب حصل على الاستقلال الفعلي. ففي نظره معاهدة " إيكس ليبان" تعتبر من أكبر الخيانات، وكانت مجرد تسوية بين زعماء سياسيين والمستعمر الفرنسي حيث كان التفاوض نظير مناصب سياسية ومواقع النفوذ بعد الاستقلال. ويعتقد الدكتور المهدي أنه لو استمر جيش التحرير في سياسته التحريرية وتحالفه مع الحركة التحريرية بالجزائر وتونس لوصلنا إلى مغرب عربي كبير وحر، إلا أن تسوية إيكس ليبان كانت ضربة قاضية ما زالت بلدان المغرب العربي تعيش تبعاتها إلى الآن. وبذلك يكون الاستقلال وهم نعيشه لحد الآن.

كما أن الأزمة الحالية للمغرب تكمن بالأساس في وجود فجوة واسعة بين القائمين على الأمور وعموم الشعب، لدرجة أن هؤلاء المسؤولين لا يرغبون في معرفة حجم هذه الهوة، التي ما فتئت تتعمق سنة بعد أخرى.

وحتى على صعيد الخلاق تم التفريط فيها بشكل لم يسبق له نظير، علما أن الأخلاق مرادفة للمصداقية، وبالتالي فقدنا كل مصداقية. وبذلك فقدت الجماهير الثقة في السياسة والسياسيين وفقد الشعب المصداقية في النخب والأحزاب السياسية والمنظومة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. بفقدان المصداقية لا يمكن التأثير في المشهد السياسي.

ومسلسل فقدان المصداقية يمر عموما بثلاث مراحل:
- الاستقرار، وهي مرحلة تؤثث النظام القائم. وهذا الاستقرار يدعو إلى عدم التحرك.
- الإصلاح، وهي مرحلة محاولة العلاج بالمسكنات.
- فرض التغير اعتبارا لاستفحال الفقر والغلاء الفاحش والمكر السياسي وعدم الثقة في الآليات الدولتية.

ويعتبر الدكتور المهدي المنجرة أن للصهيونية وجود قوي عندنا، وقوة هذا الوجود تتجلى في كون الصهاينة يتحكمون في العديد من أمورنا، وهذا ساهم كذلك في فقدان المصداقية.

وهكذا لم تعد أمام الشباب خيارات كثيرة، فإما أن يتحول إلى مرتزق مثل أغلب النخبة والقائمين على الأمور، أو أنهم سيظلون في خندق المواجهة والنضال، لاسيما وهم الذين يمثلون الجزء الوحيد المضيء في المجتمع المغربي حاليا.

فالمسؤولين ليس في مقدورهم عمل شيء، والشباب لن ينتظر مساعدة من أحد، لاسيما وأنهم يتموقعون الآن خارج دائرة الأحزاب التي أعلنت عن إفلاسها بامتياز. وبالتالي عليهم أن يستفيدوا من حركية المجتمع لإنتاج معرفة جديدة، وعلى هذه المعرفة أن تكون مرادفة للأخلاق، ما دامت الأخلاق هي العمود الفقري لي تحرك.

إن الدكتور المهدي المنجرة يدعو الشباب إلى الإبداع لتجاوز الأجيال السابقة من خلال تراكمات وتجارب معاشة. لأن الدكتور المهدي يعتبر أننا نزلنا إلى القاع ولم يعد ممكنا النزول إلى أسفل من ذلك.
فالشباب المغربي تولد لديهم وعي سياسي كبير وليس ممكنا لي كان أن يبيع ويشتري فيهم، فعهد التدجين وسياسة " الكل على أحسن ما يرام" قد ولى.

وبخصوص الخوصصة يعتبر الدكتور المهدي المنجرة أن المغرب باع ويبيع نفسه بواسطتها، وذلك انطلاقا من المصلحة العامة. فالماء والكهرباء أو المواصلات مصلحة عامة، فكيف يمكن تسليمها إلى خواص أجانب للتحكم فيها والتخطيط لسياسة استهلاكها. ويا ريت لو كانت البلاد تستفيد فعلا من أموال الخوصصة. ويتساءل الدكتور كيف نسمح لأنفسنا أن يتقاضى رئيس اتصالات المغرب أجرا يصل إلى 600 ألف درهم (60 ألف

دولار) شهريا علاوة على التعويضات والمكافآت السنوية ؟ وبأي حق يحصل على هذا الأجر من مال الشعب وعلى حسابه ؟

فالدولة لها مصاريف ومداخيل، ويتساءل الدكتور المهدي المنجرة بأي عدالة تصرف هذه المداخيل وكيف توزع الأرباح والثروات المضافة، علما أن تلك الأموال تدفع من جيوب الكادحين ليتمتع بها كمشة من المحظوظين، أليس هذا قمة الظلم الاجتماعي ؟

وبخصوص الجهوية يعتبر الدكتور المهدي المنجرة لكي تكون هناك جهة لا مناص من أن نتوفر على الكل، كما أنه إذا لم نتوفر على الجهة لا يمكن أن يكون لدينا الكل لأن الإشكالية مرتبطة ارتباطا عضويا وثيقا. فالجهوية هي جزء لا يتجزأ من استراتيجية وخطة وسياسة شمولية، وهي استراتيجية تفهم وتحلل المشاكل. علما أنه لا يمكن تحقيق أي بناء وأي تقدم بدون مسؤولية القائمين على الأمور محليا مباشرة، وهذا معنى الجهوية.

فما يهم الدكتور المهدي المنجرة ليست التركيبة الإدارية، أكثر ما يهمه بالأساس فضاءات وساحات ومساحات المشاركة الحقيقية تمكن كل من موقعه أن يشعر ويحس بأن رأيه يؤخذ بعين الاعتبار ويشعر ويحس بأن له اعتبار. وهذه حالة ما زلنا بعيدين عنها بالمغرب، وحين سنصل إلى هذه المرحلة سنكون آنذاك قد حققنا فعلا الديمقراطية الحقيقة. وما دام لا وجود لديمقراطية حقيقية على الصعيد الوطني فلا يمكن أن نحلم بوجود ديمقراطية على المستوى الجهوي.

وللدكتور المهدي المنجرة رأي خاص في شأن الصحافة المغربية، إنه يعتبر أن الصحفي العمومي ما زال لم تتوفر له الشروط المعنوية والمادية الكافية واللازمة لممارسة مهنته باحترافية ومسؤولية ونزاهة، كما أن مهنة الصحافة بالمغرب، في نظره لازالت " محكورة" كما يقال.

ففي اعتقاده أن الأغلبية الساحقة للصحفيين يعملون بوزارة الداخلية والمقصود بهذا أنها مهنة تفتقر إلى الاحترام والتقدير وأن هناك جملة من المتطلبات تتحكم في الصحفي المغربي رغما عنه، سواء ارتضى ذلك أم لم يرتضيه.

وصراحة الدكتور المهدي في هذا الصدد نابعة من كونه يعتبر نفسه معنيا كلما أسيء لأي صحفي، ومن كون لديه غيرة كبيرة على الصحافة والصحفيين ببلادنا. وذلك بالرغم من أن الصحافة المغربية، في عمومها، لم تنصفه حق الإنصاف وبالقدر الذي يستحقه.
وتظل الإشكالية الكبيرة التي ترهق الدكتور المهدي المنجرة هي أن المغرب ما زال لم يتوفر بعد على رؤية واضحة المقاصد.

ففي مرحلة الاستقلال كان هناك نوع من التوحيد والإجماع فيما يخص المقاصد، وكان الكل متفقا على ضرورة التحرر والانعتاق من الاستعمار.

وطبعا رؤية واضحة المقاصد لا يمكنها أن تأتي من فوق، لكن عليها أن تصعد من تحت، فكل ما يصعد من تحت يزداد قوة وصلابة وكل ما ينزل إلى تحت يستهان به كما يقول الدكتور.

ففيما يخص الرؤية الديمقراطية، فهل كل مغربي يشعر فعلا أن لديه الحق في التعبير ؟ وهل تعبيره هذا ورأيه يؤخذ بعين الاعتبار ؟ هذا هو السؤال.

ووجود رؤية واضحة المقاصد تعتبر مسألة أساسية وحيوية في نظر الدكتور المهدي لأنه بدونها لا يمكن بلورة استراتيجية، وبدون استراتيجية لا يمكن بلورة سياسة، وبدون هذه الأخيرة لا يمكن تسطير برنامج الذي بدونه لا يمكن تجسيد الشعارات على أرض الواقع، فهذه كلها منظومة منهجية مترابطة ومتماسكة.

لذلك، ليس هناك أي تغيير في نظر الدكتور المهدي ما دام ليس هناك رؤية واضحة المعالم هناك أحلام لكن ليس هناك رؤية. فلازلنا نتكلم عن الأشخاص ولا نتجرأ أن نتكلم عن الشعب ومدى فعله في صنع المستقبل.

يعتقد الدكتور المهدي المنجرة أن ما تغير بالمغرب هو الخطاب والوجوه.

للوصول إلى مفهوم التغيير الحقيقي، في نظره يجب توفير درجة مهمة من النزاهة والشجاعة الفكرية لمواجهة الواقع بكل تجرد وموضعية، أي حضور روح جديدة تأخذ بعين الاعتبار ذلك المواطن البسيط. لكن ما وقع هو القفز على هذا الواقع وبذلك لم يستفد المواطن من ما يسمى بالتغيير وهذه إشكالية جوهرية في نظر الدكتور.

ربما أن هناك نوع جديد من التقنيين للفساد وللرشوة، إلا أنهما لم يبعدا. وهذه مجردظفون ومستخدمون وعمال يتقاضون أجورا تقل بكثير عن حاجياتهم وآخرون - قلة - " تجاوزوا حاجز الصوت " حسب تعبير الدكتور، ويتقاضون مرتبات تصل إلى 200 و 300 ألف درهم شهريا (20 أو 30 دولار)، وهذه الأجور تؤدى من ضرائب يدفعها المواطنون البسطاء.وهذه مجرد صورة لحقيقة ما يسمى بالتغيير.

كما أن من صور هذا التغيير أن المعارضة التاريخية التي عرفها المغرب أضحت جزءا في يد المخزن وتحولت إلى جزء من نظام مخزني معاصر يسميه الدكتور المهدي المنجرة " المخزن الجديد" ("نيومخزن"). لقد أضحت المعارضة السابقة ألعوبة في يد المخزن وساهمت بانتهازية كبيرة أذهلت جميع المحللين في إعادة تشكيله ضدا على الشعب وعلى المصداقية.

وفي هذا الشأن يميز الدكتور المهدي المنجرة بين 3 مستويات فيما يخص المجتمع المدني بالمغرب.

1 - المجتمع المدني المخزني (السلطة السياسية بالمغرب).

2 - المجتمع المدني المرتبط بالسفارة الفرنسية.
3 - المجتمع المدني المستقل.

وفي نظر الدكتور المهدي المنجرة، إن مغرب المستقبل ما زال مشروعا بيد الشباب. وفعلا، أضحى يظهر بوضوح أن هناك وعي بأهمية وجدوى الدراسات المستقبلية، وخصوصا وقد بدأت تأخذ بعين الاعتبار وبجدية المستقبل. وهذا مؤشر إيجابي يمكن أن تكون له انعكاسات مهمة في مجال إشكالية التنمية.

فالمغرب شأنه شأن كل دول العالم الثالث، مر من مرحلة تقليد الآخر ونسخه محاولة للوصول إلى بعض النتائج. إلا أن هذه النتائج كانت وخيمة. والآن حدثت بعض التغييرات الجوهرية في مجال التفكير في دواليب التنمية، ويتمنى الدكتور المهدي المنجرة أن تأخذ بعين الاعتبار، في هذا الصدد، نماذج محلية للتنمية تضع في حسبانها قيمنا الاجتماعية والثقافية وحاجيات المجتمع كما يعبر عنها ديمقراطيا من طرف أصحاب الشأن: المغاربة وليس سواهم.

ويعتقد الدكتور المهدي المنجرة أن إشكالية المستقبل تجد طريقها لضمان مكانها في الوعي السياسي، إذ أخذ المغاربة - لاسيما الشباب - يعيرون الأهمية للمستقبل خلافا لما كان في السابق. إلا أنه يجب أن يتقوى هذا الوعي بالمشاركة السياسية الفعلية.
وفي هذا الصدد يرى الدكتور المهدي المنجرة أن مغرب 2020 سيعاين نوعا من العدالة النسبية في توزيع الثروات المادية وغير المادية، والجيل الذي ستكون بيده زمام الأمور سيكون أقل إحساسا بالعقدة وبالدونية في مواجهة الخارج، أي أنه جيل يتمتع بثقة في نفسه ويعتمد عليها مفتخرا بمرجعيته الثقافية والاجتماعية.

وعموما، فإن المستقبل يظل دائما مفتوحا، إذ لا وجود لمستقبل واحد في نظر الدكتور، وإنما هناك تعددية المستقبل، فهناك أكثر من مستقبل مرغوب فيه، لكن لابد من النظر ما هي ممكنة التحقيق منها.

ففي سنة 2020 قد تبلغ ساكنة المغرب 45 مليون نسمة، 50 % منهم لا يتجاوز سنهم 25 سنة و 70 % من الساكنة الحضرية . ويمكن تغطية 90 % من الاكتفاء الغذائي وهذا من شأنه منح المغرب نوعا من المرونة والإمكانيات لبلورة برامجه التنموية .

هذه ما هي إلا شذرات وعلامات الطريق لفكر الدكتور المهدي المنجرة، والذي يتطلب حيزا أكبر لمحاولة مقاربته، ونعتذر عن التقصير لأن المبتغى هو مجرد إشارات لمعالم فكر شاسع متعدد الاهتمامات ومتداخل المجالات والإشكاليات ومتكامل في المنهجيات المتبعة.

لقد كرس الدكتور المهدي المنجرة جزءا كبيرا من حياته للدراسات المستقبلية. و يأمل أن تحظى هذه الدراسات بالأهمية التي تستوجبها بالنسبة لمغرب الغد، بعد ما يكون قد طور

الدراسات و أبحاث حول المستقبل و أسس مراكز و معاهد تضطلع بتوفير مختلف المعلومات و المؤشرات الضرورية للقيام بمثل هذه الدراسات و للتمكن من المسك بخيوط التطور و التنمية مستقبلا.و مما يقوي أمل الدكتور المهدي المنجرة أن هناك وعي بارز حاليا بالمغرب على الصعيد السياسي بأهمية و جدوى الدراسات المستقبلية، و هذا يعتبر من المؤشرات و من العلامات المؤدية إلى ضرورة طرح تغيير الرؤى فيما يخص نموذج التنمية التي اعتمدتها البلاد إلى حد الآن.

علما أن المغرب، كباقي دول العالم الثالث، قد مر بمرحلة التقليد، حيث حاول تقليد ألآخر و نسخ تجاربه لبلوغ النتائج المرجوة. و قد تم اعتماد هذا المسار بحسن نية و ارتكازا على درجة من الوعي. إلا أنه اليوم، يبدو أن المغرب في حاجة ماسة، أكثر من أي وقت مضى، إلى إ نموذج مغاير للنموذج المعتمد، أي نموذج يكون مؤسسا على عوامل داخلية، و معطيات و قيم اجتماعية و ثقافية خاصة به و اعتمادا على الاستجابة لحاجيات المجتمع كما هي معبر عليها ديموقراطيا.

و لا يخفي على أحد أن مثل هذا النموذج يعطي مكانة خاصة لمبدأ المشاركة، و التي هي مازالت في بداية الطريق بالمغرب.

و في نظر الدكتور المهدي المنجرة أن مغرب الغد سيولي أهمية أكثر لمفهوم العدالة فيما يخص توزيع الثروات المادية و غير المادية دون اعتبار التموقع الطبقي أو الانتماء الاجتماعي. إن الجيل الذي سيتحمل المسؤولية غدا بالمغرب، حسب الدكتور، سيكون جيلا أقل إحساسا بعقدة النقص مقارنة بالأجيال السابقة له التي تلت مرحلة الاستقلال. انه سيكون أقل إحساسا بالنقص بالنظر للخارج، لاسيما و أنه سيكون مضطرا للاعتماد على نفسه و سيتوفر على ثقة أكبر في محدداته الثقافية و الاجتماعية و في قدراته، لاسيما و أنه جيل متعلم و ذو كفاءة و معرفة، بحيث أن مغرب الغد سيتوفر على أطر ذات كفاءة ودراية أكثر من السابق.

إلا أن المستقل ليس واحدا، فهناك تعدد المستقبلات الممكنة، لذا فالمطروح هو الاهتمام بالمستقبل المرغوب فيه أو المستقبلات المرغوب فيها قصد النظر بعد ذلك في النهج و السبل التي ستمكن من تصور هذه المستقبلات و طرق جعلها مستقبلات ممكنة التحقيق أخذا بعين الاعتبار مختلف المحددات و الاكراهات البشرية و المادية و المالية.

ففي سنة 2020 سيصل سكان المغرب إلى ما يناهز 45 مليون نسمة، علما أن أمل الحياة سيرتفع إلى 65 سنة، و بذلك سيحدث تعبيرا ملحوظا على مستوى الهرم الديموغرافي، أكثر من 50 في المائة من الساكنة سيكون عمرهم أقل من 25 سنة. و هذا يعني أنه هناك عامل أساسي لا مناص من أخذه بعين الاعتبار و بالأهمية التي يستلزمها للاستعداد للغد، و هو الخاص بتوزيع الساكنة بين الحواضر و البوادي. فالساكنة الحضرية المغربية في سنة 2020 مؤهلة لتصل إلى 70 في المائة من مجموع سكان البلاد. و هذا يعتبر تحديا كبيرا لامناص من الاستعداد إليه منذ البارحة و ليس منذ اليوم.

و في نظر الدكتور المهدي المنجرة يمكن لمغرب 2020 أن يحقق 90 في المائة من الاكتفاء الذاتي الغذائي، و هذا ما سيمكن البلاد من هامش مهم للتحرك على صعيد قضايا التنمية. لاسيما إذا تمكنا من تقليص الأمية إلى حدود 25 في المائة (عوض 55 في المائة حاليا)، و هذا التقليص عليه أن يكون ليس كميا فقط و لكن نوعيا كذلك، اعتبارا لضرورة تحقيق توازن يتعلق بالعالم الحضري، و فيما يتعلق بالمرأة و الرجل. و هذا يعني أنه يجب إعطاء الأولوية الآن للعالم القروي و للمرأة في هذا المجال.

كما يأمل الدكتور المهدي المنجرة أن تستفيد كافة ساكنة مغرب 2020 من الماء الصالح للشرب في إطار سيرورة تحقيق المزيد من العدالة الاجتماعية و تكريس كرامة الإنسان كأولوية الأولويات. و هذه السيرورة نحو المزيد من العدالة الاجتماعية من شأنها تفعيل سيرورة الخلق و الإبداع في المجال الفني، و هذا مؤشر من المؤشرات التنموية سواء في المجال الاقتصادي أو الاجتماعي في المجتمع ما دامت التنمية ليس مادية فقط.

و يعتقد الدكتور المنجرة أن الخلق و الإبداع يعتبر من العناصر الأساسية للانتقال نحو مجتمع المعرفة. و هذا الصدد يحتل الإعلام مكانا جوهريا، لأنه كلما ظهرت جريدة أو مجلة أو كتاب أو شكل جديد للتعبير كيفما كان، فمن شأنه أن يساهم في توسيع مجال الاختيارات و تعدد الرؤى المتوفرة لعموم الناس. و هذا الخلق أو هذا الإبداع يجب أن يطبع كذلك البحث العلمي و الذي على البلاد أن تخصص له، في رأي الدكتور المنجرة، على الأقل 0.3 في المائة من الناتج الداخلي الخام. إلا أنه يتمنى منذ الآن أن يكون الهدف هو تخصيص 1.5 في المائة من الناتج المذكور للاستثمار في البحث، لأنه يعتبر شرطا حيويا للوجود ما دامت التكنولوجيا الجديدة تستوجب استثمارات هامة و تكوين مستمر، و ما دامت المعرفة تنمو و تتطور بسرعة متصاعدة، و إذا لم نوفر شرط المسايرة سيكون من الصعب، بل من المستحيل مسايرة الركب.

علما أن المغرب قد تأخر بشكل ملحوظ عن مسار سيرورة تطور البحث العلمي على الصعيد العالمي، مثله مثل حال العالم الثالث عموما، و يزداد الطين بلة بمعاينة تذمر الباحثين المغاربة فيما يخص التعامل مع ميدان البحث العلمي بالمغرب من طرف القائمين على الأمور في مختلف المجالات. إذن هناك تأخر بفعل درجة السرعة التي يسير فيها العالم في هذا المجال، و تزداد الصعوبة أكثر بمعاينة أن الدول المتقدمة غير مستعدة لنقل التيكنولوجيا إلى دول العالم الثالث، لاسيما فيما يخص التيكنولوجيا المتطورة و المتقدمة و ذلك اعتبارا لأسباب سياسية و أسباب اقتصادية و أسباب أخرى مرتبطة بالأمن، لاسيما و أنه أصبح من الصعب بمكان التمييز بين استعمال تلك التكنولوجيا المتطورة في المجال المدني و المجالات العسكرية. إلا أنه يلاحظ الدكتور المهدي المنجرة أن عدد الأدمغة و الباحثين من أبناء دول العالم الثالث يكادون يمثلون أغلبية على الصعيد العالمي، و بذلك يظل من البديهي ضرورة اعتماد التعاون الجنوبي-الجنوبي، سواء على الصعيد الإقليمي أو على صعيد القطاعات أو على صعيد الجامعات و الوحدات الإنتاجية. فدول الجنوب هي في حاجة لكل نوع من أنواع هذا التعاون لأن أي شكل من أشكاله كفيلة بتجميع الشروط للتمكن من قيام بحث علمي مجدي اعتبارا لما أصبح يتطلبه من إمكانيات مادية و بشرية

و معداتية.

و إذا لم يكن من بالحجم المطلوب فلن تكون له انعكاسات لا على الإنتاج و لا في مجال تحسين ظروف الحياة. لأننا لا نقوم بالبحث العلمي من أجل البحث فقط، و إنما نقوم بالبحث ذي هدف و مقصود، بحث علمي أساسي من شأنه أن يسهل التطبيق لجني الثمار.

و اعتبارا لوضعية أغلب دول الجنوب، فان من أجدى السبل العمل الشبكي، أي العمل عبر شبكات- أو ما يسمى حاليا بلا مادية الاقتصاد- لأن هذا النهج سيقلص من بعض مصاريف البنيات التحتية و مصاريف التسيير و التدبير. و هكذا يمكن إحداث شبكات للبحث العلمي على الصعيد المغاربي و على الصعيد الإفريقي و على صعيد العالم العربي. و يمكن إشراك الباحثين المتواجدين بالغرب في تلك الشبكات، لاسيما و أن وسائل الاتصال و التواصل أضحت تسمح بذلك.

و من بين الإشكالات التي تظل قائمة بالنسبة لمغرب المستقبل حجم السوق. و لقد أكد الكثيرون، إضافة للدكتور المهدي المنجرة، أن الحد الأدنى لحجم السوق الملائمة يتطلب على الأقل 100 مليون نسمة، و لا يهم الشكل لضمان هذا الحد الأدنى (منطقة حرة، تجمع اقتصادي جهوي أو إقليمي...) و في هذا الصدد تبدو بجلاء أهمية الوحدة المغاربية، لأنها أضحت في واقع الأمر مسألة حياة أو موت بالنسبة لبلدان المغرب العربي و شعوبه. إلا أن الدكتور المهدي المنجرة يتأسف لغياب الإرادة السياسية الضرورية و الكافية لتحقيق هذا الحلم الجماهيري المغاربي. علاوة على عدم إشراك شعوب المنطقة، بشكل أو بآخر، للمساهمة في تفعيل سيرورة هذه الوحدة.

و يعتبر الدكتور المهدي المنجرة أنه مادامت الوحدة أضحت ضرورية فلا بد من ترك لهل الفرصة لتعرف النجاح، قبل التفكير في أي بديل آخر غيرها. و تزداد أهمية هذه الإشكالية في نظر الدكتور باعتبار أنه سبق له أن برهن أن الرهان حاليا هو رهان ثقافي أكثر من أي وقت مضى، وهذا ما أكده كذلك "صامويل هونتيكتن" مدير معد الدراسات الاستراتيجية بهارفارد في صيف 1993 في مقالته المعنونة " صدام الحضارات" الصادرة في مجلة "مورين أفير" ، أي أن الصراعات، من الآن فصاعدا، ستكون صراعات حضارية و ثقافية. و هذا ما يفسر تفاؤل الدكتور المهدي المنجرة رغم كل الصعوبات التي تعرفها المرحلة الانتقالية بالمغرب. و باعتبار أن هناك درجة كبيرة من الأمية، فان رد فعل الشعب عموما لأي اعتداء أو هيمنة تمس الثقافة و الحضارة سيكون قويا لا محالة. فالثقافة أضحت مفتاح العلاقات الدولية أكثر من أي وقت مضى.

و فيما يخص ظاهرة تطور الحركات الإسلامية يرى الدكتور المهدي المنجرة أن هناك اتجاه نحو لفظ الأصولية. فقبل 15 أو 20 سنة، لم تكن الأصولية تشكل مشكلا، حتى على الصعيد العالمي، بل على العكس من ذلك، كان المسلم إنسان مطيع، لا يكاد أثره يبين، و كان من مناهضي الشيوعية و يتعبد في المسجد. لكن هذا المسلم اليوم بدأ يظهر بشكل آخر و بصورة أخرى، لاسيما و أن عدد المسلمين كثر على الصعيد العالمي و فاق عدد المسيحيين، و هذا مشكل في نظر الغرب و بالنسبة إليه. إلا أنه في واقع الأمر، يقول

الدكتور المهدي المنجرة، إن المشكل يكمن في كون أن آليات التواصل الثقافي لم تعمل بين البلدان الأوروبية و الآخرين، و هذا عنصر أو سبب بشري و ليس ديني. و مشكل التواصل هو قائم حتى على صعيد البلد الواحد و ليس بين البلدان فقط.

و خلاصة القول، يعتقد الدكتور المهدي المنجرة، أن ما يحدث بالمغرب يعتبر ايجابي لاسيما فيما يتعلق بأخذ العبرة من بعض الأخطاء الجسيمة السالفة، إذ أضحى الحديث عن هذه الأخطاء بنوع من الصراحة و بدرجة من النزاهة السياسية. و هذا مهم مقارنة بالماضي. و هذا يعني أن المغرب بدأ يتخلص من بعض المعوقات ليتمكن من تحديد المقاصد التي ستمكنه من الخروج من وضعيته الحالية.

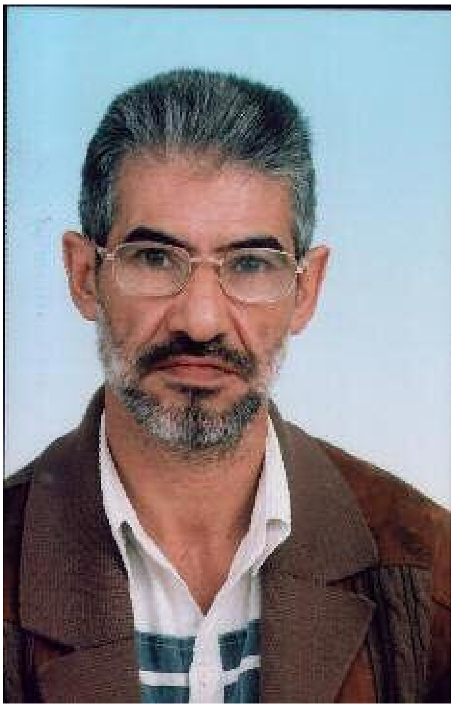
و الدكتور المهدي المنجرة قلق الآن بصدد الغد القريب.

أكد الدكتور المهدي المنجرة في مقاله القيم الذي قامت بتوزيعه الوكالة اليابانية " كيودو نيوز " أن هناك " تحالف دولي من أجل الدمار للحرية والذاكرة والبيئة والقيم «، ولعل ما يجري في جلمة من مناطق العام (العراق، فلسطين وغيرهما) ما هو إلا حلقات من مسلسل طويل الأمر، وهو مسلسل يستهدف ليس الإنسان فقط، وإنما كذلك وبالخصوص تدمير وتخريب الإرث الثقافي الإسلامي وإتلاف البيئة دون مبالاة بالعواقب وبين الدكتور المهدي المنجرة في مقاله القيم أن هناك ما يناهز 200 ألف عراقي ما بين قتيل وجريح وهو رقم مؤهل للارتفاع بسبب إصرار الولايات المتحدة وحلفائها على تطبيق مخططها في المنطقة مهما كان الثمن مختفية بتقدمها التكنولوجي والاقتصادي دون اعتبار لأي قيمة من القيم التي بلورتها البشرية عبر عقود من النضال والاستماتة التضحية.

ويرى الدكتور المهدي المنجرة أن الطريف أضحت الآن ممهدة أمام الولايات المتحدة الأمريكية لإقامة الشرق الأوسط الكبير، من المغرب إلى باكستان، عبر إقبار وتنحية الخصوصيات السوسيو ثقافية رغم أن الشعوب أعلنت ولازالت تعلن عن رفضها لهذا النهج لاسيما بعدما عاينتها من انعكاسات المهدي المنجرة، في ظل التطورات الحالية، أن الصين تبدو الدولة الوحيدة التي بإمكانها الوقوف في وجه الهيمنة الأمريكية إن آجل أم عاجلا.

ومهما يكن من أمر فإن الخاسر الكبير في نظر الدكتور المهدي المنجرة هو السلام في العالم والتعدد الثقافي والكرامة الإنسانية.

السيرة الذاتية للكاتب إدريس ولد القابلة



- كاتب و صحفي مغربي
- خريج المدرسة الوطنية للإدارة العمومية بالرباط (شعبة الاقتصاد و المالية)
- مجاز في الاقتصاد
- دبلوم الدراسات الجامعية العامة في الفلسفة و علم الاجتماع و علم النفس
- مكلف بمهمة بمركز حقوق الناس
- مدافع حقوقي نشط
- باحث في مجال السياسة و التنمية المحلية و البيئة و حقوق الإنسان

البريد الإلكتروني:
okdriss2000@yahoo.fr